

صلاة القديسين من أجلنا القديس يوحنا الذهبي الفم

يحسن بنا الإعتدال على صلاة قديسي الله ولو كنا نشيطين بتتيمم الواجب، وربما تقول: ما الحاجة الى صلاة الآخرين، إذا كنت أتمم واجباتي بنشاط؟ فأنا لست بحاجة إليها! لم يقل القديس بولس الرسول: لا حاجة الى صلاة الآخرين. مع أن الذين صلوا لأجله لا يُضاهونه بشيء. فكيف تقول أنت ما حاجتي الى صلاة الآخرين عني؟ والقديس بطرس الرسول لم يقل ما الحاجة الى هذه الصلاة، بل قيل: "وكانت الكنيسة تصلي الى الله من أجله بلا انقطاع" (أعمال ٥: ٢) وأنت تقول ما الحاجة الى صلاة الآخرين؟

إنها تلزم، وخاصة لأنك لا تعترف بالحاجة إليها. إنك في حاجة الى صلاة الآخرين، ولو كنت معادلاً للرسول المتقدمين على غيرهم.

إنني أكرر القول أن صلاة الغير من أجلنا نافعة لنا إذا كنا نتعب بتأدية واجباتنا. أما شهد رسول المسيح بقوله: "لأنني أعلم أن هذا يؤول الى خلاصي بصلاتكم وبإعانة روح يسوع المسيح" (فيلبي ١٩: ١) "والذي ينقذنا الآن بمعونة دعائكم لنا حتى أن كثيرين يودون الشكر على الموهبة" (٢كور ١٠: ١١) ولكن لا أحد يستطيع أن يساعدا بصلواته إذا كنا متهاملين. فما الفائدة التي حصل عليها النبي إرميا لليهود؟ ألم يصرخ الى الله ثلاثاً ويسمع ثلاثاً: "وأنت فلا تصلي عن هذا الشعب ولا ترفع صراخاً ولا صلاة لأجلهم ولا تشفع إليّ فإني لا أسمع لك" (إرميا ٧: ١٦) وما المنفعة التي قدّمها النبي صموئيل للإسرائيليين؟ ألم يهلكوا جميعاً غير ناظرين إلى نبي الله الذي شهد عن نفسه: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ الى الرب وأترك الصلاة من أجلكم" (ملوك الأول ٢٣: ١٢) لذلك يجب أن نعلم أن صلاة الآخرين من أجلنا تعود علينا بالنفع العظيم إذا قمنا بواجبات الصلاة نحن أيضاً. إن الصلاة تعمل وتساعد من يتمم واجباته، أما إذا كان متكاسلاً فلا تعود عليه بفائدة. ألم يصلّ القديس بولس الرسول من أجل العالم بأسره؟ ألم نصلّ نحن من أجل خلاص الجميع؟ فلماذا لا يصير الأشرار أبراراً؟ لأنهم لا يهتمون لنفوسهم! فالصلاة من أجلنا تفيدنا إذا أتممنا ما يجب علينا.

أتريد أن تعرف أيها المسيحي كيف تكون الصلاة نافعة لنا؟ اسمع ما يقول يعقوب للابان: "ولولا أن إله أبي إبراهيم ومهابة اسحق معي لكننت سرحنتي فارغاً" (تك ٣١: ٤٢) واسمع أيضاً ما قال الرب الإله: "فأحمي هذه المدينة وأخلصها من أجلي ومن أجل داود عبدي" (الملوك الرابع ٣٤: ١٩) لكن متى يكون هذا؟ كان بواسطة حزقيا الذي كان صديقاً. ولكن إذا كان للصلاة قوة أثناء الشدائد

العظيمة فلماذا أسلم الرب المدينة الى نبوخذنصر عند هجوم البابليين؟ لان الفساد ازداد في تلك الأيام، وهكذا النبي صموئيل من أجل الإسرائيليين، نجح لما أرضى الإسرائيليين العلي. وربما تقول ما الحاجة الى صلاة الآخرين من أجلك إذا كنت عائشاً في طاعة الله؟ فهذا لا يجوز لك أن تقوله مطلقاً بل اسمع ما قاله السيد الرب عن أصحاب أيوب: "إن عبدي أيوب يصلي من أجلكم فتترك لكم خطاياكم" (أيوب ٨: ٤٢) لأنهم قد خطئوا ولكن خطيئتهم لم تكن عظيمة، وهذا الصديق نفسه الذي خلص اصدقاءه لم يقدر أن ينفذ اليهود من الهلاك لأن "إثمهم كان عظيماً" (حزقيال ١٤: ١٤).

وقد قال السيد الرب بواسطة أنبيائه: "ولو كان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب إنهم لا ينقذون لها بنين ولا بنات والأرض تصير مستوحشة" (حزقيال ١٤: ١٥) "لو أن موسى وصموئيل وقفا أمامي لما توجهت نفسي الى هذا الشعب" (إرميا ١٥: ١) وعندما صرخ النبي حزقيال: "آه أيها السيد أتهلك جميع بقية إسرائيل". عرفه الرب أن عدم مساعدته للإسرائيليين لم تكن لأنه توسط لهم بل "لأن إثم إسرائيل ويهوذا عظيم جداً" (حزقيال ٨: ٩ و ٩).

فبتذكرنا أيها الاحباء كل هذا يجب ألا نحقر صلاة القديسين أو نعتمد عليها وحدها، بل لنحافظ على الشرط الثاني أي ألا نتكاسل، ونصرف حياتنا في البطالة، حتى لا نُحرَم من الخيرات العظيمة. لنسأل سكان السماء القديسين أن يساعدونا بصلواتهم لنقضي حياتنا في الصلاح حتى نحصل على الملكوت الأبدي.